لقد خرجت المرأة عملياً من مرحلة الحكي ودخلت إلى زمن الكتابة. ولكنها تدخل إلى أرض معمورة بالرجل أو هي مستعمرة ذكورية. والمرأة لا تدخل الكتابة بوصفها سيدة النص إذ إن السيادة النصوصية محتكر ذكوري. وتأتي المرأة بوصفها ناتجاً ثقافياً جرت برمجته وجرى احتلاله بالمصطلح المذكر والشرط المذكر. ولذا فإن المرأة تقرأ أو تكتب حسب شروط الرجل، فهي ـ لذا ـ تتصرف مثل الرجل أو بالأحرى تسترجل. وكما نادت مي زيادة في خطابها إلى باحثة البادية حيث تقول: (نحن في حاجة إلى نساء تتجلى فيهن عبقرية الرجال)[69].

إنها تطلب عبقرية الرجال لأنها لا تملك نموذجاً لشيء يمكن أن يسمى بعبقرية النساء. والمشكلة ـ على وجه التحديد ـ هي أن النساء لم يتدربن على القراءة بوصفهن نساء ـ كما تقول الباحثة (كولودني)[70]. وما هو خطير هنا هو أننا لا نتعلم القراءة بحياد وتجرد ولكن القراءة والتدرب عليها مشحونة بالتحميلات الجنسية والثقافية، مثلها مثل كل المهارات الاجتماعية الاستراتيجية[71] التي تأتينا محملة بالمخزون التاريخي المصاحب لها. وبما أن القراءة ظلت عملاً من أعمال الرجال وحدهم وامتد ذلك قروناً طوالاً فإنها قد تلبست بالذكورة حتى صارت أي محاولة للدخول في هذه المهارة تجر معها شروط التذكير بالضرورة.

وكأنما المرأة تفقد أنوثتها كلما توغلت في اللغة قراءة وكتابة، ولقد قالوا لمي زيادة إن العلم ضد الأنوثة والجمال[72].

---

(69) مي زيادة: الأعمال الكاملة 1/170.

(70) انظر عنها J. Culler: On Deconstruction 51

(71) السابق عن Judith Fetterly: The Resisting Reader a Feminist Approach to American Fiction p. VII, Indiana University Press, Bloomington 1978.

(72) مي زيادة: الأعمال الكاملة 1/148